الصناعة في العراق

للامين سعيد

زار كاتب هذا المقال العراق في تعريف ماضي
ودرس شؤونه واحواله وخص المنتخب بهذه المقالة

معمل الجوخ — معامل السكاير —
الصابون — المنسوجات الصوفية

كان العراق حتى نهضته الجديدة محروماً من الصناعات الحديثة قوام الحياة الاقتصادية وركنها الركين فلما انشئت الدولة الجديدة في ربوعه واستقرت اموره ظهر النشاط في كل فرع من فروع الحياة العامة وكان للصناعة من هذا النشاط الحظ الاوفى

ولعل معمل الجوخ العراقي في الكاظمية على شاطىء دجلة من اعظم دور الصناعة الحديثة في العراق واكبرها شأناً فقد بدأ الوجيه فتاح باشا وابنه نوري بك بانشائه في سنة ١٩٢٦ يساعدهما نسيب لهما درس فن الميكانيكا الصناعية واختص بها فتولى ادارة العمل الفني وفي سنة ١٩٢٧ تم انشاء هذا المعمل ويضم اليوم ٣٠٠ عامل عراقيّ حذقوا عملهم واتقنوه . وهناك خبير الماني يستخدمونه وقتيًّا ريثما يعود من اوربا الذين ارسلوا للتخصص في العلوم الصناعية

زرت هذا المعمل ابان رحلتي الاخيرة الى بغداد ، فأعجبني اتقانه ونظامه ، وسرني ان يكون في البلاد العربية امثال هذه المعاهد الصناعية التي يرجى ان تكون نواة نهضتنا الاقتصادية تتلو النهضتين السياسية والوطنية فما أخر الشرق سوى فقر شعوبه واهمالها الصناعات وأخذها بالتافه والقشور . وتمتاز هذه الدار الصناعية عن امثالها في الشرق العربي بكونها مستكملة لجميع ما تحتاج اليه من معدات وبكونها تغزل الصوف وتصبغه وتنسجه وتخرجه جوخاً للبس والاستعمال اي انها حاوية لجميع المعدات اللازمة لهذه الصناعة الراقية

ولقد شاهدت تلس هذه العملية في ادوارها ورأيت الصوف لعلوه طبقات من الغبار والاقذار حينما يؤتى به من الارياف فتتسلمه نسوة يعملن في (عنبر) قرب الباب فيبدأن بنفشه واعداده وبعد الانتهاء من هذه العملية البسيطة ينقل الى احواض معدة لغسله ، فيقع بادىء بدء في حوض خاص

مملوء بالماء الحار الممزوج بالصودا والصابون مدة ساعتين ثم ينقل الى حوض آخر فثانٍ وثالث ورابع اي انهُ يسير بنفسه مضغوطاً بقوة البخار من حوض الى حوض حتى الرابع وهو اكبرها فيستقر فيه قليلاً ثم يخرج منه وهنا تنتهي عملية الغسيل وتبدأ عملية جديدة هي عملية التجفيف تتولاها ماكينة خاصة في عنبر (الغسيل) فتجففه وتقصره وبعد ان يعرض لنور الشمس ينقل الى المصبغة فيصبغ في احواض خاصة معدة لذلك . ومنها ينقل الى قسم (الحلج) ثم الى ماكينات التمشيط فيخرج منها خيوطاً صوفية وتتكرر « عملية » التمشيط مثنى وثلاث ورباع في ماكينات خاصة وفي كل مرة يزداد الصوف المخلوج الممشط نعومة ومن هنالك ينقل الى المغازل فتبدأ عملية الغزل وتتكرر ايضاً في ادوار مختلفة حتى يخرج الخيط او « الفتلة » طبقاً للحاجة المطلوبة ويبلغ طول الكيلوغرام الواحد من الصوف ٢٤ الف متراً اذا كان الخيط رفيعاً و ١٢ — ١٤ الفاً اذا كان ثخيناً

وبعد ان يصبح الصوف خيوطاً رفيعة ناعمة ينقل الى ماكينة « السدى » فتعده للانوال ثم ينقل الى المناسج وفيها عنبر كبير وعددها عندهم ٨٤ نولاً او منسجاً وجميع آلات العمل تدار بالكهربائية وعندهم مولدان للقوة الكهربائية تديرها ماكينات بقوة ٢٥٠ حصاناً تقريباً

وينقل الجوخ بعد انتهاء نسجه الى الغسيل فتغسله ماكنات خاصة في احواض مملوءة بالماء الساخن الممزوج بالصودا والصابون وتدقه وتدعكه وتقصره ثم ينشف في ماكينة اخرى اي ان العملية التي عملت قبل النسج تتكرر ولكن بطرق واساليب غير تلك . ثم ينقل الى فرن فيوضع فيه مدة ثم يوضع في ماكينة خاصة تنظفه وتزيل ما يعلوه من وبر وتتكرر هذه العملية مثنى وثلاث ورباع على البخار ثم يرسل ثانية الى الفرن ثم يكوى بمكاوٍ خاصة ثم ينظف باليد ثم يكوى ثم يسلم الى ماكنة تطويه وتخرجه اثواباً جاهزة وتضع على كل ثوب رقمه وطول الثوب الواحد ١٠٠٠ متر ولما وقفت على العامل الذي يتولى هذه العملية كان يرقم بالعربية ٣٠١٣ على الثوب الموجود بيده

ويخرج المعمل يومياً ٧٠٠ متر من الجوخ وفي استطاعته ان يزيد هذه الكمية عند الحاجة وتباع مصنوعاته في العراق بأثمان تختلف فثمن المتر الواحد من الجيد لا يزيد عن ٢٥ قرشاً صاغاً ويصدر كميات الى سورية وفلسطين والخليج الفارسي وايران ومصر وتلقى رواجاً لرخصها وجودة صنعها

ولقد ذكر لي مدير المصنع انهُ كان في نيتهم استحضار صوف من استراليا وهو انعم من الصوف العراقي واصلح للنسج وكانوا يعتمدون في اتمام هذه العملية على مساعدة المغفور له الملك فيصل فقد وعدهم بان يمدهم مالياً كما ساعدهم في جميع ادوار العمل وشجعهم بيد ان وفاته قضت على هذا المشروع او ارجأته الى وقت آخر على الاقل . ويقدم المعمل للجيش العراقي ما يحتاج اليه من البسة شتوية ومن «بطانيات» ويخرج من هذه كميات كبيرة تلقى رواجاً عظيماً في اسواق العراق والشام لرخصها وجودة صنعها كما يقدم للشرطة العراقية وطلاب المدارس ما يحتاجون اليه من البسة يصنعها طبقاً للتوصيات

وفي المعمل ايضاً « مغازل » لغزل الخيطان تخرج مقادير كبيرة منها وعندهم مغزل صغير لغزل

القطن او الحرير الصناعي ويحتاجون اليه في صناعتهم . وكذلك فهم يخرجون مقادير كبيرة من خيطان الصوف يبيعونه للنساج في بادية العراق وفي مدنه فيحيكون منها العباءات ولا يزال عدد لابسيها غير قليل في بغداد نفسها وهم يكثرون في الارياف فلا بدَّ للابس الملابس العربية من عباءة يضعها فوق ثوبه في جميع فصول السنة وتختلف بحسب اختلاف الفصول

وفي العراق ايضاً صناعات جديدة نشأت مع النهضة الجديدة ونمت في ظلها ، وفي مقدمتها صناعة لفائف التبغ فقد كان العراقيون يعتمدون حتى الايام الاخيرة على ما يسمونه لفائف « الدك » وطريقة صنعها بسيطة جداً وهي انهم يأتون بالدخان فيكسرونه بايديهم حتى ينعم ثم يملأونه باليد في ورق خاص اعدّ له ويبيعونه على هذه الطريقة بثمن بخس ، ومخازن باعة التبغ في الارياف مملوءة باللفائف القارعة ولا تملأ الاّ عند البيع . اما الخاصة فكانوا يعتمدون على التبغ التركي في عهد الترك ثم على التبغ الانكليزي في عهد الاحتلال

وفي بغداد اليوم ما لا يقل عن ١٠ معامل لفرم التبغ واعداده طبقاً للاساليب الحديثة يعمل فيها نحو ٣٠٠٠ عامل والتبغ الرائج عندهم هو التبغ العراقي وقد جاؤوا بتقاويه من تركيا وزرعوه في المناطق الشمالية الجبلية المجاورة للاناضول التركي وفي منطقة « السليمانية » فنجحوا نجاحاً كبيراً كما يقولون وولدوا تبغاً لذيذاً . والتبغ رخيص في العراق بالنسبة لما هو عليه في مصر والشام لعدم الاحتكار او رسوم جركية باهظة كما يظهر فعندهم انواع عديدة منها غازي والرشيد وفيصل والملوكي وعبد المحسن السعدون وعليه فاخرة وسعر العلبة ذات العشرين لفافة من الصنف المتوسط ١٠ مليمات ومن الجيد ١٦ مليماً

وكذلك فقد بدأوا بادخال صناعة طبخ الصابون وقد كانوا حتى الحرب العظمى يستوردون مقادير كبيرة من سورية وفرنسا . وفي بغداد اليوم ٣ معامل لطبخه ويستحضرون مواده الاولية من الخارج لعدم وجودها في العراق . ولا تزال هذه الصناعة في دور التكوين ولم تلق من النجاح ما اصابته صناعتا نسج الجوخ ولفائف التبغ

وكذلك عندهم معمل للدباغة . وقد انشأهُ احد اغنياء بغداد سنة ١٩٢٨ ويديره مجلد وقد درس هذه الصناعة في انكلترا ، ويخرج هذا المعمل ولا يزال صغيراً للعراق ما يحتاج اليه من جلد ونعل وتباع الاحذية من مصنوعاته باثمان رخيصة جداً في اسواق بغداد ويقبل عليها الناس

وقد بدأوا حديثاً بانشاء معمل لغزل الصوف ونسج الاقمشة الصوفية ويرجى ان ينجز قريباً فيستغني العراق عما يستورده من الاقمشة الصوفية

هذا بعض ما عرفته عن حالة الصناعة الجديدة في العراق ولا تزال في دور النشوء والتكوين والمأمول ان تنمو وتتقدم في ظل الدولة العربية الجديدة وبتأييد العرب كافة ومساعدتهم . فالشرق في أشد الحاجة الى ترقية صناعاته حفظاً لثروته ولايجاد اعمال العاطلين من ابنائه وهم كثيرون